

بعض الآثار الواردة فيه

1. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لا عدوى ولا صفر ولا هامة)) ، فقال أعرابي : يا رسول الله ! فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها الظباء ، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها يجربها؟ فقال : ((فمن أعدى الأول)) متفق عليه
2. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر)) متفق عليه . وفي رواية لمسلم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا عدوى ، ولا غول ، ولا صفر)) .
3. عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ((لا يعدي شيء شيئاً)) ، فقال أعرابي : يا رسول الله ! البعير أجرب الحشفة ندبته فيجرب الإبل كلها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((فمن أجرب الأول ؟ لا عدوى ولا صفر ، خلق الله كل نفس فكتب حياتها ورزقها ومصائبها)) .
4. عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : ((كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض ، ويجعلون المحرم صفر ، ويقولون : إذا برأ الدبر ، وعفا الأثر ، وانسخ صفر ، حلت العمرة لمن اعتمر . قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة ، فتعاطم ذلك عندهم ، فقالوا: يا رسول الله ! أي الحل ؟. قال: ((حل كله)) .
5. قال أبو داود : قرئ على الحارث بن مسكين وأنا شاهد : أخبركم أشهب ، قال سئل مالك عن قوله : ((لا صفر)) قال : إن أهل الجاهلية كانوا يُحلُّون صفر ، يُحلُّونه عاماً ويُحرمونه عاماً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((لا صفر)) .
6. قال البخاري في صحيحه : باب ((لا صفر)) ، (وهو داء يأخذ البطن) .

بدعة التشاؤم بصفر

ورد في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم ((لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر)) . واختلف العلماء في قوله ((لا عدوى)) ، فهل المراد النهي أو النفي ؟. قال ابن قيم الجوزية: (هذا يحتمل أن يكون نفيًا ، أو يكون نهيًا ، أي : لا تتطهروا ، ولكن قوله في الحديث : ((لا عدوى ولا صفر ولا هامة)) يدل على أن المراد النفي ، وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانها ، والنفي في هذا أبلغ من النهي ؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك ، وعدم تأثيره ، والنهي إنما يدل على المنع منه) . هـ . وقال ابن رجب : (اختلفوا في معنى قوله : ((لا عدوى)) ، وأظهر ما قيل في ذلك : أنه نفي لما كان يعتقد أهل الجاهلية ، من أن هذه الأمراض تعدي بطبعها ، من غير اعتقاد تقدير الله لذلك ، ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم : ((فمن أعدى الأول)) ، يشير إلى الأول إنما جرب بقضاء الله وقدره ، فكذلك الثاني وما بعده) . هـ . قال الله تعالى : { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا } .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : ((ولا صفر)) ، فاختلف في تفسيره : **أولاً :** قال كثير من المتقدمين : الصفر داء في البطن . يقال : أنه دود فيه كبار كالحيات ، وهو أعدى من الجرب عند العرب ، فنفي ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن قال بهذا من العلماء : (ابن عيينة ، والإمام أحمد ، والإمام البخاري ، والطبري) . وقيل : المراد بالصفر : الحية ، لكن المراد بالنفي نفي ما كانوا يعتقدون أن من أصابه قتله ، فردّ الشارع ذلك بأن الموت لا يكون إلا إذا فرغ الأجل . وقد جاء هذا التفسير عن جابر وهو أحد رواة حديث : ((ولا صفر)) .

ثانياً : وقالت طائفة : بل المراد بصفر هو شهر صفر . ثم اختلفوا في تفسيره على قولين :

أ- أن المراد نفى ما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء فكانوا يحلون المحرم، ويحرمون صفر مكانه، وهذا قول الإمام مالك
ب- أن المراد أهل الجاهلية كانوا يستثمون بصفر ويقولون أنه شهر مشئوم ، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك . ورجح هذا القول ابن رجب الحنبلي .

ويجوز أن يكون المراد هو الدواب التي في البطن ، والتي هي أعدى من الجرب بزعمهم ، وأن يكون المراد تأخير الحرم إلى صفر وهو ما يسمى بالنسيء ، وأن الصفرين جميعاً باطلان لا أصل لهما ، ولا تصريح على واحد منهما .
وكذلك يجوز أن يكون المراد هو نفى التشاؤم بصفر ؛ لأن التشاؤم صفر من الطيرة المنهي عنها ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : ((لا طيرة)) .
. لقوله صلى الله عليه وسلم : ((طيرة شرك ، طيرة شرك)) . ويكون قوله : ((ولا صفر)) من باب عطف الخاص على العام ، وخصه بالذكر لاشتهاره .

فالنفي - والله أعلم - يشمل جميع المعاني التي فسر العلماء بها قوله صلى الله عليه وسلم ((لا صفر)) والتي ذكرتها ؛ لأنها جميعاً باطلة لا أصل لها ولا تصريح على واحد منها .

فكثير من الجهال يتشاءم بصفر ، وربما ينهى عن السفر فيه ، وقد قال بعض هؤلاء الجهال : ذكر بعض العارفين أنه ينزل في كل سنة ثلاثمائة وعشرون ألفاً من البليات ، وكل ذلك في يوم الأربعاء الأخير من صفر ، فيكون ذلك اليوم أصعب أيام السنة كلها ، فمن صلى في ذلك اليوم أربع ركعات ، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وسورة الكوثر سبع عشرة مرة والإخلاص خمس عشرة مرة ، والمعوذتين مرة ، ويدعو بعد السلام بهذا الدعاء ، حفظه الله بكرمه من جميع البليات التي تنزل في ذلك اليوم ولم تحم حوله بلية في تلك السنة ، وهذا هو الدعاء :

((بعد البسملة..... اللهم يا شديد القوة ، يا شديد المحال ، يا عزيز ، يا من ذلت لعزتك جميع خلقك . اكنفني من شر خلقك ، يا محسن يا مجمل يا متفضل ، يا منعم يا متكرم ، يا من لا إله إلا أنت ، ارحمني برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم بسر الحسن وأخيه وجده وأبيه وأمه وبنيه ، اكنفني شر هذا اليوم وما ينزل فيه يا كافي المهمات ويا دافع البليات ، فسيكفيهم الله وهو السميع العليم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين)) .

وكذلك ما يفعله بعض الناس في اجتماعهم في آخر أربعاء من شهر صفر بين العشاءين في بعض المساجد ، ويتحلقون إلى كاتب يرقم لهم على أوراق آيات السلام السبعة على الأنبياء ؛ كقوله تعالى : {سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ} .

ثم يضعونها في الأواني، ويشربون من مائها، ويعتقدون أن سر كتابتها في هذا الوقت، ثم يتهادونها إلى البيوت.
ونظير هذا تشاؤم بعض الناس في بعض الأقطار الإسلامية من عيادة المريض يوم الأربعاء وتطيرهم منه .
ولا شك التشاؤم بصفر أو بيوم من أيامه هو من جنس الطيرة المنهي عنها : فقد قال صلى الله عليه وسلم : ((لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر)) .

وقال صلى الله عليه وسلم ((لا عدوى، ولا طيرة ، ويعجبني الفأل)) قالوا : وما الفأل ؟ قال : ((كلمة طيبة)) .

وقال عليه الصلاة والسلام ((طيرة شرك ، طيرة شرك)) .

وقال صلى الله عليه وسلم : ((من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك)) ، قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال : ((أن تقول: اللهم لا خير إلا

خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك)) إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في النهي عن الطيرة .

وتخصيص الشؤم بزمان دون زمان ؛ كشهر صفر وغيره ، غير صحيح ، لأن الزمان كله خلق الله تعالى ، وفيه تقع أفعال بني آدم ، فكل زمان شغله المؤمن بطاعة الله فهو زمان مبارك عليه ، وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو مشؤم عليه .

فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله تعالى ، واقتراف الذنوب، فإنها تسخط الله عز وجل، فإذا سخط على عبده ، شقي في الدنيا والآخرة ، كما أنه إذا رضي عن عبده سعد في الدنيا والآخرة .

فالعاصي مشؤم على نفسه، وعلى غيره، فإنه لا يؤمن أن ينزل عليه عذاب فيعم الناس، خصوصاً من لم ينكر عليه عمله، فالبُعد عنه متعين . أما قوله صلى الله عليه وسلم : ((لا عدوى، ولا طيرة ، والشؤم في ثلاث : المرأة ، والدار ، والدابة)) .

فقد اختلف العلماء فيه :

أ- فروي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها أنكرت هذا الحديث أن يكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم : إنما قال : ((كان أهل الجاهلية يقولون : الطيرة في المرأة والدار والدابة)) ، ثم قرأت عائشة : { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } .

وقال معمر : سمعت من يفسر هذا الحديث يقول : (شؤم المرأة إذا كانت غير ولود ، وشؤم الفرس إذا لم يغز عليه في سبيل الله ، وشؤم الدار جار السوء)

ب- ومنهم من قال: قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا شؤم، وقد يكون اليمن في الدار والمرأة والفرس)) .

والتحقيق: أن يقال في إثبات الشؤم في هذه الثلاث ما ورد في النهي عن إيراد المريض على الصحيح ، والفرار من المجدوم ، ومن أرض الطاعون : أن هذه الثلاث أسباب يقدر الله تعالى بها الشؤم واليمن ويقرنه.

والشؤم بهذه الثلاثة إنما يلحق من تشاءم بها، فسيكون شؤمها عليه ، ومن توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير ، لم يكن مشؤومة عليه ، ويدل على ذلك حديث أنس - رضي الله عنه - : ((الطيرة على من تطير)) .

وقد يجعل الله سبحانه وتعالى تطير العبد ، وتشاؤمه سبباً لحلول المكروه ، كما يجعل الثقة به ، والتوكل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر المتطير به ، وسر هذا أن الطيرة إنما تتضمن الشرك بالله تعالى ، والخوف من غيره ، وعدم التوكل عليه والثقة به ، فكان صاحبها غرضاً لسهام الشر والبلاء ، فيتسرع نفوذها ؛ لأنه لم يتدرع بالتوحيد والتوكل ، والنفس لا بد أن تتطير ، ولكن المؤمن القوي الإيمان يدفع موجب تطيره بالتوكل على الله ، فإن من توكل على الله وحده كفاه من غيره ، قال تعالى : { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } . .

قال ابن الجوزية : (إخباره صلى الله عليه وسلم بالشؤم أنه يكون في هذه الثلاثة، ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاه، وإنما غايته أن الله سبحانه ، قد يخلق منها أعياناً مشؤومة على من قاربها وسكنها وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر ، وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولداً مباركاً ، يريان الخير على وجهه ، ويعطي غيرهما ولداً فكذلك الدار والمرأة والفرس. والله سبحانه خالق الخير والشر من قارنها ، وحصول اليمن له والبركة ، ويخلق بعض ذلك نحوساً يتنحس بها من قارنها ، وكل ذلك بقضائه وقدره ، كما خلق سائر الأسباب ، وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة ، فكما خلق المسك وغيره من حامل الأرواح الطيبة ، ولذذ بها من قارنها من الناس ، وخلق ضدها وجعلها سبباً لإيذاء من قارنها من الناس ، والفرق بين هذين النوعين يدرك بالحس، فكذلك في الديار والنساء والخيول ، فهذا لون والطيرة الشركية لون آخر .

ولهذا يشرع لمن استفاد زوجة أو أمة أو دابة ، أن يسأل الله تعالى من خيرها ، وخير ما جبلت عليه، ويستعذ به من شرها وشر ما جبلت عليه ، كما ورد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك ينبغي لمن سكن داراً أن يفعل ذلك ، وقد أمر صلى الله عليه وسلم قوماً سكنوا داراً فقلّ عددهم ، وقلّ مالهم أن يتركوها ذميمة .

فترك ما لا يجد الإنسان فيه بركة، من دار أو زوجة أو دابة، منهى عنه، وكذلك من اتّجر في شيء فلم يربح فيه، لقوله صلى الله عليه وسلم :

((إذا كان لأحدكم رزق في شيء فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له)) .

فالتطير والتشاؤم بوقت أو شخص أو دار أو غير ذلك ، من الشرك كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث السابق ذكرها .

والتشاؤم من الاعتقادات الجاهلية التي انتشرت - وللأسف الشديد - بين كثير من جهال المسلمين ، نتيجة جهلهم بالدين عموماً ، وضعف عقيدة التوحيد فيهم خصوصاً ، وسبب ذلك الجهل ، ونقص التوحيد ، وضعف الإيمان ، هو عدم انتشار الوعي الصحيح فيهم ، ومخالطة أهل البدع والضلال ، وقلة من يرشدهم ويبين لهم الطريق المستقيم ، وما يجب اعتقاده ، وما لا يجوز اعتقاده ، وما هو شرك أكبر يخرج المسلم عن الملة الإسلامية وما هو شرك أصغر ، وما هو ذريعة إلى الشرك ينافي كمال التوحيد ، ويوصل الفاعل في النهاية إلى الشرك الأكبر ، الذي لا يغفر الله لصاحبه إن مات ولم يتب ، ويكون مخلداً في النار ، وتحبط جميع أعماله الصالحة ، كما قال تعالى : { إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ } . وقال الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } .

ومع ذلك لا زال كثير من الناس يتشاءمون من شهر صفر ، ومن السفر فيه ، فلا يقيمون فيه مناسبة ولا فرحاً ، فإذا جاء في نهاية الشهر ، احتفلوا في الأربعاء الأخير ، احتفالاً كبيراً ، فأقاموا الولائم والأطعمة المخصوصة والحلوى ، خارج القرى والمدن ، وجعلوا يمشون على الأعشاب للشفاء من الأمراض .

وهذا لا شك أنه من الجهل الموقع في الشرك - والعياذ بالله - ومن البدع الشركية ، ويتوقف بالدرجة الأولى على سلامة العقيدة . فهذه الأمور لا تصدر إلا ممن يشوب اعتقاده بعض الأمور الشركية ، التي يجبر بعضها بعضاً كالتوسلات الشركية ، والتبرك بالمخلوقين ، والاستغاثة بهم .

أما من أنعم الله عليه بسلامة العقيدة ، وصحتها ، فإنه دائماً متوكِّل على الله ، معتمد عليه ، موقن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن التشاؤم والطيرة ، واعتقاد النفع أو الضرر في غير الله ، ونحو ذلك كله من الشرك الذي هو من أشد الظلم ، قال تعالى : { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } .

والتشاؤم مما ينافي بتحقيق التوحيد ، وتحقيق التوحيد منه ما يكون واجباً ، ومنه ما يكون مندوباً . فالواجب : تخليصه وتصفيته عن شوائب الشرك والبدع والمعاصي ، فالشرك ينفيه بالكلية ، والبدع تنافي كماله الواجب ، والمعاصي تقدح فيه وتنقص ثوابه .

فلا يكون العبد محققاً التوحيد حتى يسلم من الشرك بنوعيه ويسلم من البدع والمعاصي .

والمندوب : تحقيق المقربين ، وهو انجذاب الروح إلى الله محبة وخوفاً ، وإنابة وتوكلاً ، ودعاء وإخلاصاً وإجلالاً وهيبه ، وتعظيماً وعبادةً ، فلا يكون في قلبه شيء لغير الله ، ولا إرادة لما حرم الله ، ولا كراهة لما أمر الله ، وذلك هو حقيقة لا إله إلا الله .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد - باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ، وذكر فيه حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((عرضت على الأمم ، فأخذ النبي يمر معه الأمة ، والنبي يمر معه نفر ، والنبي يمر معه العشرة ، والنبي يمر معه الخمسة ، والنبي يمر وحده ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قلت : يا جبريل ! هؤلاء أممي ؟ قال : لا ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد كثير قال : هؤلاء أمتك قال : هؤلاء سبعون ألفاً قد أمهم لا حساب عليهم ولا عذاب . قلت : ولم ؟ قال : كانوا لا يكتون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون)) الحديث .

فذكر الرسول صلى الله عليه وسلم من صفات الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب ، الذين لا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون ، والتوكل على الله هو الأصل الجامع الذي تفرعت عنه هذه الأفعال .

فخلاصة الكلام أن التشاؤم بصفر وغيره من الأزمنة ونحو ذلك ، من البدع الشركية ، التي يجب تركها والابتعاد عنها ، لما ورد في ذلك من

الترغيب والترهيب . والله أعلم .

الهوامش والتعليقات يراجع [كتاب البدع الحولية](#)

كاتب المقالة : عبدالله التويجري

تاريخ النشر : 13/12/2012

من موقع : قناة نور الحكمة الإلكترونية - صوت علماء الأزهر الشريف بفاقوس

رابط الموقع : WWW.norelhekma.com